حرية المرأة فى الأسلام

(كتبت خصيصا لمجلة المعرفة)

بقلم الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوا

رئيسة تحرير مجلة فينكس

طلبنا إلى حضرة الكاتبة المعروفة مدام دى سان بوا رئيسة تحرير مجلة فينكس التى تصدر بالفرنسية فى القاهرة . أن تتفضل بالتحدث إلينا عن رأيها فى المرأة الشرقية عامة ، والمرأة المصرية خاصة ، وعما إذا كانت — باعتبارها ممن درسوا الحياة الشرقية دراسة تامة — ترى رأى القائلين بالسفور ، أم رأى القائلين بالحجاب . وكذلك رأيها عن مسألة الزواج ، وما يتصل به من شؤون

فأمهلتنا حتى تكتبه ، وانتظرنا حتى بعثت إلينا بالموضوع الذى يرى القراء تعريبه بعد ؟

المحرر

***

كم من الكلمات المعسولة ، تفعل فى النفوس فعل الخمر . تظهر بالمظهر الجميل ، والصورة الخلابة للمثل العليا ، التى تبث فى أذهان الناس روح الغرور والتخيل والأوهام . وخصوصا فى أذهان الناشئة من الشبان والشواب

فمن أمثلة تلك الكلمات : كلمات الحرية ، والمساواة ، والتقدم ، والمدنية وغيرها . . .

ونحن الآن سنبحث عن تلك الكلمة الأولى ، وأعنى بها كلمة الحرية فحسب

***

الحرية . هى هذه الأمنية السامية ، وتلك الأنشودة العذبة ، وذلك اللحن المستعاد ، أو هي المثل الأعلى للفرد الذى يأخذ الإنسان بلفظه الساحر فيدفعه

إلى الغرور بنفسه . والزج بها حتى تهوى به إلى الحضيض . والحق هو أن تلك الأمنية هى التى تحفر الحفرة العميقة ، التى لاقيامة للانسان منها ، إلا حين يتيقظ شعوره ، ويسمو تفكيره . أو على الأقل . حين يفجأه نور الحقيقة الساطع ، فتجعله المفاجأة وجها لوجه أمام الأمر الواقع . وكثيرا ما يكون الواقع مما لا يسر نفوسنا أو ترتضيه عقولنا . على أنه مهما يكن من شىء ، فأنا مرغمون على قبوله إرغاما

من هذا . نستطيع إذن ، أن نقول . إن الانسان ليس له نصيب من الحريه مطلقا . وكيف يكون حرا فى حياته ، وهو نفسه مقيد الحرية سواء فى مولده أو مماته ؟ وكيف تتحقق له تلك الأمنية العذبة ، وهو نفسه لا يعرف منها غير القشور

وإذا أردنا البحث من الناحية الاجتماعية ، نجد أن القيود التى قيدت بها حرية المجتمع بشطريه ، واحدة فى كل حال من الحالات الاجتماعية ، وبتعبير أدق ، نرى أن تلك القيود ، هى بذاتها ، الأرادة السامية ، والقوة المتسلطة على الوجود الكلى نفسه

والحرية ، إن هى إلا نتيجة إحساس بالشخصية ، أو نتيجة شعور بالفردية تخلصت من بعض قيود دينية أو اجتماعية

ولقد انبعث فى الغرب ، هذا النوع من الحرية ، حيث ظهر فيه بأبهى المظاهر الخلابة ، وأجمل الصور الخداعة . ولهذا ارتكب تحت ستاره ، كثير من المظالم الفردية المروعة . ووقع فى ظله كثير من الأخطاء الأخلاقية المفجعة ولقد صار هذا النوع الذى يختفى تحت المظاهر الخلابة - سما يسرى فى جسم الأنسانية ، حتى يهلكها تدريجيا . وهذا هو ماتشاهده فى هذا العصر نفسه

وقد اندفع الغرب بذلك النوع اندفاعا جنونيا ، وانساق بشره المحقق ، انسياقا تاما ، حتى أضحى معروفا بذلك دون غيره

وهذا الغرب نفسه هو الذي جلب إلى الشرق هذا العلم الخداع (علم

(صورة مدام دى سان بوا صاحبة المقال)

الحرية) . الذى يستر بين ثناياه شر الأخطاء وأشد المصائب

ولقد ضل به كثيرون فى الشرق ، متناسين تقاليده التى كانت سر عظمته وسبب روعته ، والتى ليست ـ كما يعتقد أو يدعى البعض ـ سبب نومه . ذلك النوم الذى أراه فى الحق ليس إلا نوما عاديا لجنس البشرية التى تخضع بطبيعتها لحكم القوانين الطبيعية ، من ليل ونهار . وكما أن الظلام هو ليل الطبيعة ، كذلك لابد للمخلوقات من ليل تتمثله فى النوم

ولو فرض أن ثمة فائدة تعود على الشرق من تلك اليقظة التى أرغمه عليها الغرب . فليس يستنتج من ذلك . وجوب اتباعه وتقليده ومحاكاته .

قد يسألنى سائل فيقول : وكيف ذلك ؟

نقول إن السبب . هو ماتولد عن تلك الانقلابات أو عن تلك العدوى السياسية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والفنية ـ فى الشرق من عدم التوازن ، الذى كان سببه غرابة تلك الأفكار عنه

ألم ينشأ عنها أن بعد الناس عن القرآن تدريجيا ؟ والقرآن هو هذا الكتاب الكريم الكامل . الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . سواء ذلك فى أحكام الفرد والجماعة . أو فى النفس ، والروح ، والجسد . أو فى علاقة الأنسان بربه وعلاقته بالناس ، وعلاقته بنفسه فى حياته الخاصة والعامة . . . الخ

والمرأة تعتبر فى كل زمان ومكان القطب السالب ، الغـــير فعال . ويعتبر الرجل القطب الموجب الفعال ، ولكن باتصالها بعضهما ببعض . يتمم كل منهما عمل الآخر . ولهذا تعتبر المرأة دائما ، الحارس اليقظ الأمين على التقاليد التى تنعكس منها التقاليد الضرورية ، المعهود بها إلى الرجل فى الحياة الخارجية

وقد تأثرت ـ نوعا ما ـ المرأة المسلمة المتحضرة باتصالها بالمرأة الغربية . فأصبحت هى الأخرى تحلم بالحرية وتغبط أختها التركية على انتقالها من الحريم إلى صالات الرقص ، وتعلم فنونه ، وتناول شراب (الكوكتيل) بدل شراب الورد

وفى فرنسا يظهر لها غريبا جدا ، أن المرأة الفرنسية لاتذهب إلى أماكن اللهو الكثيرة ، مثل « المونمارتر» و «الفولى برجير » بينما لا يفوتها اقتناء أحدث الملابس لآخر طراز (الموده) . فتستبدل فى وقت قصير ملابس غالية القيمة بأخرى تساويها إن لم تكن أقل من الأولى متانة وتحملا

و إذا بحثنا مسألة المرأة من ناحية الطراز (الموده) يكون بحثنا سطحيا فى الواقع . وقد أصبح الطراز بتغيره المستمر ، وتبدله الكثير ، واهتمام كل النساء طول حياتهن به — سواء كن صغيرات أو كبيرات ، قبيحات أو جميلات — بل وعدم ازدراء الرجل له بسكوته عنه . أصبح هذا الطراز يعد الطابع المشين للزمن والرمز المزرى للعصر ، فيقال عصر الموده

والحق أن التغيير ، والتبديل ، والتخيلات هى الأعـــداء الخبيثة اللدودة للثبات ، والمبادىء ، والتقاليد

وإذا كان المؤثر فى الأنسان ، هو ما يسمى بالحياة الداخليه ، فلا ينكر أحد أن مظهر الأنسان ـ الذى يرسمه لنفسه تبعالقوانين التقليد ـ له تأثيره البين عليه . وطريقة الأوضاع ليست بدون قيمة فى الحق إذ أن الأنسان فى نهاية تقليده لها ، لابد ، وأن يشبه ماحاول الظهور به منها

وتقليد المرأة التى من أمة معينة ، لملبس أختها من أمة أخرى ، أمر له أهميته ، حتى ولو لم يضع الكتاب المقدس لتلك الأمة أحكاما للملبس . على أن هذه الحال . . (عدم وضع الأحكام) ليست فى القرآن ؛ الذى وضعها ، وأحكم وضعها تماما

يتضح من هذا . أن تمرد المرأة على الملبس — وقلما تكون متعلة تعليما كاملا — يدل على أنها تعانى ثورة فكرية عميقة . ولكن لا ننسى أيضا أن تلك الملابس التى تصل فى قصرها إلى حد فاضح ، أمر مؤلم جدا للمرأة المسلمة ، أكثر من رفعها للنقاب ، وقد أوصى الرسول العربى بالحجاب . وما كان ذلك منه تفضيلا ، أو مراعاة الطراز الأخير . ولكن أليس يعد خرافة ، أن تتبع

المرأة المسلمة عكس ما أوصى به الرسول بوضعها على الفم قطعة رقيقة شفافة من (الموسلين) تكاد لاتخفى شيئا مما أمر به أن يستر ؟

فى رسالته يعلمنا أن النساء يجب عليهن اتباع الحقائق . والحقائق المقصودة من روح الآيات القرآنية الخاصة بملابس النساء ، لا تعنى إلا مايلائم الحشمة ، و يتفق والبساطة ، مما لايوقظ فى الرجال غرائزهم الجنسية

وطبيعيا كان النقاب يلبس فى أيام النبى (ص) وقد كان المقصود منه حماية الوجه ، ووقابة العينين من لفحات الشمس ، وذرات الرمال المتناثره . وقد كان هذا النقاب موضع عناية النبى (ص) الذى ماكان ليرتضى أن يرى هذا اليوم الذى تخطر فيه الفتيات المسلمات فى الشوارع بقطعة رقيقة من (الموسلين) الشفاف والتى يضعنها على ثغورهن باسم النقاب ظلما . بينما لاتخفى ثيابهن القصيرة شيئا من سيقانهن الجميلة المغرية ، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن ، إلا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وقوله « ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٢) »

السفور

وليست مسألة السفور بذات قيمة فى نفسها . أما الشىء الأكثر أهمية فهو روح التعاليم ، التى تأمر بارتداء الملابس المحتشمة التى لا تثير فى الرجل غريزته الجنسية

(١) راجع سورة النور آية ٣١ (٢) راجع سورة الأحزاب آية ٥٩

تلك فى نظرى هى النقطة الجوهرية . وقد تكون لهيئة المرأة التى تبدو بها ولنظراتها المثيرة ، ومشيتها الخليعه — أكثر أهمية فى عملها من عمل الملابس نفسها . وأرانى مضطرة لأن أصرح بأن المرأة المسلمة المتحضرة تبدو الآن فى هيئة مثيرة جدا

ويظهر أن امرأة القرية لم تتأثر بهذا إلا قليلا ، وسوف لا تتأثر بالمرأة الغربية ، ولكنها ستقلد سيدتها هانم المدنية التى تتخذها كأنموذج عال تحتذيه

وقد افتتنت المرأة المسلمة بمظهر الحرية الكاذب الذى لأختها الغربيه . وخصوصا منذ الحرب الأخيرة . ولم تحاول أن تكشف أو تدرك ما يستتر وراء هذه الحرية الجوفاء ، ولو حاولت المسلمة ذلك لرأت أنها تملك قسطا أوفر بكثير مما تملكه الغربية . فهى بفضل عناية النبى ، أصبحت مصونة ، وبعيدة عن متاعب الحياة ومقاصد الرجل السيء . وكثير من الآيات القرآنية ، يمنع هذا الأجحاف الواقع من الرجل على المرأة . ولنقارن الآن بين حقوق المرأة الغربية وحقوق المرأة المسلمة . ثم بعد ذلك نحكم حكما عادلا دون أن نخطىء القصد ؟

للبحث بقية

اطبعوا مطبوعاتكم
فى مطبعة مصر
بشارع الدواوين